الفصل الأول

التربية المستمرة وتعليم الكبار في ضوء تعاليم الإسلام

تمهيد

التربية المستمرة من المنظور الإسلامي

تعليم الكبار من المنظور الإسلامي

التكليف وتعليم الكبار

تعليم الكبار فريضة إسلامية

أهداف التربية المستمرة وتعليم الكبار

obeikandl.com

الفصل الأول

التربية المستمرة وتعليم الكبار في ضوء تعاليم الإسلام

تمهيد

صحيح أن التربية المستمرة قد تعززت وقويت خلال السنوات الأخيرة، إلّا أنّه من الوهم الادعاء بأنّها من مستحدثات العصر. والمتتبع للقضايا التربوية يدرك أنّه لا شيء جديد في فكرة متابعة العملية التربوية. فالإنسان عن قصد أو غير قصد يتابع تدريب نفسه وتأهيلها خلال حياته عبر تأثير المحيطين به، ومن خلال الخبرات المختلفة التي تسهم في بلورة اتجاهاته ومواقفه في الحياة.

والمتتبع لآداب الحضارة الإسلامية لا يجد كبير مشقة في العثور على الأدلة المقنعة في كون فكرة التربية المستمرة مدى الحياة، تشكل حجر الزاوية في البناء التربوي الإسلامي. فالإنسان الذي كرّمه الله تعالى هو محور العملية التربوية. وبسبب طبيعة تكوينه والفطرة التي فطره الله عليها، فإنّه قد يرتفع ليصبح سيد الوجود المحسوس، وقد يهبط ليصبح أدنى من أدنى الكائنات المحيطة. لذلك فهو بحاجة للرعاية والتوجيه الدائمين حتى يحفظ من خطر الانزلاق إلى مدارك الحيوان، وحتى يبقى منسجماً مع القوانين التي فطر عليها، وحتى يتمكن بالتالي من سلوك سبيل الرشاد سواء في التعامل مع خالقه جلّ وعلا أو مع العوالم المحيطة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾[1].

ومما لا شك فيه: أن «التربية هي وسيلة هذا الإيمان، وأداة الإعداد لإتقان الصالحات من الأساليب والممارسات. وهي مستمرة باستمرار وجود الإنسان على

---

(1) سورة: التين، الآيات: 4 ـ 6.

obeikandi.com

الأرض»[1]. ولذلك لم يكن غريباً على هذه التربية أن تُعنى بالإنسان حتى قبل ولادته. فالرجل في الإسلام مطالب باختيار المرأة الصالحة، مثلما أن المرأة عليها أن تختار الزوج الذي تتوفر فيه الشروط المناسبة، حتى يقوم البناء على أسس سليمة، وحتى تتوفر لهما الشروط المناسبة، وأهمها الدين والخلق ـ كي يَقُوما بواجبهما لجهة الرعاية والقوامة والتربية ـ وفي ذلك يقول ﷺ «**من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلاّ دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلاّ أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه كان ذلك منه وبورك له فيها وبارك الله لها فيه**»[2]. وجاء في الحديث أيضاً: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ألاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد**»[3]. فذات الدين هي التي تقوم بحق الله، وحق الزوج، وحق الأمة، في التربية المستمرة للأجيال المؤمنة بالله السائرة على هديه.

التربية المستمرة من المنظور الإسلامي

لما كانت العملية التربوية «ليست... مجرد تعليم معلومات، وإنما هي أولاً وبالدرجة الأولى عملية تنمية بشرية»[4]، فإنه لا بد من الخبرة المربية التي تؤمن الأثر الإيجابي المستمر لمراحل النمو المتعاقبة. «والتربية الإسلامية التي تضع كل شيء في موضعه الطبيعي اعتبرت النمو بجميع جوانبه وسيلة لتحقيق مثلها الأعلى»[5]. ولذلك فإن الإسلام «يحض على النمو بكل أشكاله، أي التربية الإسلامية تشمل رعاية النمو من كل جوانبه: الجسمية، والعقلية، والخلقية، والاجتماعية، والذوقية، والروحية، والوجدانية»[6].

وحتى يكون النّمو وسيلة لتحقيق العبودية لله تعالى فلقد أوصى الرسول ﷺ بطلب العلم، وجعله فريضة على المسلمين. وبذلك جعل من العلم أساساً للدعوة إلى الإسلام. لأن القرآن يأبى «إلّا أن تبنى العقائد على أساس البرهان القائم على النظر العميق، والتفكير الهادىء، ولأجل هذا صاح القرآن في أصحاب العقائد

---

(1) ماجد عرسان الكيلاني: **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية**، ص: 29.
(2) علاء الدين الهندي: **كنز العمال**، 16/ 301.
(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، 3/ 395.
(4) سعيد إسماعيل علي: **فلسفات تربوية معاصرة**، ص: 34.
(5) عبد الرحمٰن النحلاوي: **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، ص: 115.
(6) عبد الرحمٰن النحلاوي: **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، ص: 115.

الباطلة»[1]: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

ولذلك كان من الطبيعي أن يحظى العلم والعلماء في الإسلام بقيمة رفيعة ودرجة عالية عند الله تعالى، وعند الناس في الدنيا والآخرة يقول ﷺ: **«ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ حَفَّتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»**[3].

والرسول عندما يقول: **«اطلبوا العلم ولو في الصين»**[4] و**«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**[5]. فهو بذلك يضع الأسس والمبادىء التي يجب أن تقوم عليها التربية في المجتمع الإسلامي «ومن تلك المبادىء الغاء البعد الزمني، فليس للتعليم عمر تعليمي محدد في الإسلام، وكذلك فليس للتعليم مكان محدد، ولا مؤسسة محددة إلى جانب أن المساواة فيه بين الجنسين الرجل والمرأة تامة، على أن الإسلام يقدّر في تصوره للتعليم المتطلبات المتجددة للمستقبل، فيجعل من التعليم نشاطاً دائماً متصلاً، ونامياً، ومتكاملاً»[6].

والرسول ﷺ يحفز المسلمين على الاستمرار في طلب العلم، حتى آخر لحظة من حياتهم؛ لأن من يقضي وهو على هذه الحال يقضي شهيداً لقوله ﷺ: **«إذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً»**[7] ويقول أيضاً: **«من جاءه الموت، وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام، لم يكن بينه وبين الأنبياء إلاّ درجة في الجنة»**[8].

---

(1) يوسف القرضاوي: **الرسول والعلم**، ص: 13.

(2) سورة: البقرة، الآية: 111.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، 4/ 2074.

(4) علاء الدين الهندي: **كنز العمال**، 10/ 138.

(5) الطبراني: **المعجم الكبير**، 10/ 195.

(6) محي الدين صابر: **«علامات على الطريق، تعليم الكبار في الإسلام»، في تعليم الجماهير**، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، يناير 1975، عدد 2، ص: 16.

(7) ابن عبد البر: **جامع بيان العلم وفضله**، 1/ 96.

(8) علاء الدين الهندي: **كنز العمال**، 10/ 160.

فطلب العلم في الإسلام يجب أن يكون ملازماً للمسلم إذا كان يريد مرضاة الله تعالى. وهذا ما عبّر عنه ومارسه السلف الصالح. فقد روي أنّه قيل لابن المبارك (181 هـ/ 797م): «إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله»[1] وقال أيضاً: «لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم، فإن ظن أنه علم فقد جهل»[2]. والإمام علي ﷺ يرى: «أن الحكمة ضالة المؤمن»[3] لذلك فهو يحث على مداومة التعلم والتعليم قائلاً: «تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم إلاّ تفعلوا يدرس عليكم»[4] وسفيان بن عيينة (198 هـ/ 814م) عندما سئل: «من أحوج الناس إلى طلب العلم؟» قال: «أعلمهم، لأن الخطأ منه أقبح»[5]. فكل هذه النصوص تعبر عن الطبيعة الدائمة للتربية والتعليم في الإسلام.

ولما كانت التربية الإسلامية هي الترجمة العملية للتصور الإسلامي، ولما كان العلم يشكل إحدى مرتكزاتها الرئيسة النابعة من هذا التصور، فإن هذا يعزز القناعة في كون التربية الإسلامية تربية مستمرة مدى الحياة. وهو ما يميزها عن غيرها من التربويات. لأن التربية مدى الحياة «هي الأساس في الإسلام، ومن هذا الأساس - أو الأصل - تتفرع ألوان التربية الأخرى. فبينما في المجتمعات القديمة والمعاصرة تعتبر «التربية» والتربية المدرسية بوجه خاص هي الأساس أو الأصل، ومنه تتفرع التربية المستمرة. وذلك سبق إسلامي في التربية لم تصل إليه المجتمعات المتقدمة ذاتها بعد»[6].

فمبدأ التربية المستمرة وإن لم يكن معروفاً بهذه التسمية كان في جوهره معتمداً في التربية العربية الإسلامية. «فإن العقيدة التي تعتمد على العقل واستثماره باستمرار في الحياة، وتجعل التفكير قوام الإيمان وقوام مواقف الإنسان إزاء الكون والحياة، وقوام تنظيم المجتمع والتعاون فيه، والعقيدة التي تحض النّاس بأن الله لا

---

(1) ابن عبد البر: م. س، ص. ن.
(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، 1/ 74.
(3) الشريف الرضي: **نهج البلاغة**، ص: 481.
(4) ابن عبد البر: م. س، 1/ 101.
(5) ابن عبد البر: **جامع بيان العلم وفضله**، 1/ 96.
(6) عبد الغني عبود: **في التربية الإسلامية**، ص: 159.

يغير ما بأحوالهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم لهي عقيدة تتطلب استمرار الإنسان في طلب التعليم والتعلم»[1]. فدعوة القرآن الكريم للنبي ﷺ للاستزادة من العلم في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]، إشارة إلى أن العلم واسع لا ينتهي وطلبه دائم لا ينقطع. وما الحث على الاستزادة منه إلّا تعبير صريح، ودعوة واضحة لمبدأ التربية المستديمة[٣]. التي تجعل من المسلم طالباً للعلم ما دامت هناك حياة.

تعليم الكبار من المنظور الإسلامي:

إن الحديث عن تعليم الكبار من الوجهة الإسلامية يستوجب إلقاء الضوء على مفهومي: «الأمّي» و«الكبير» من المنظور عينه... وذلك لارتباطهما الوثيق بعنوان الدراسة. هذا بالإضافة إلى ما للتوضيح من دلالات تربوية قد تسهم في إلقاء مزيد من الضوء على صورة ومضامين مفهوم تعليم الكبار. هذا المصطلح الذي يبقى عرضة لأن تتغير مفاهيمه، والوظائف المنوطة به، تبعاً للتطور الحضاري في مستوياته العالمية، وما ينجم عن ذلك من تأثيرات في مختلف الصُّعد.

من هو الأُمّي؟

الأُمّي حسب علماء اللغة: من لا يكتب أو العيي الجافي قليل الكلام، وقيل: أمّي؛ لأنه على ما ولدته أمّه عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان[4]. **والأمّي**: الذي لا يحسن الكتابة إنما سمّي أمّياً لأحد وجوه. **أحدهما**: أن الأمّة الخلقة، فسمي أمّياً لأنّه باق على خلقته، ومنه قول الأعشى:

وأن معاوية الأكرمين بيض الوجوه طوال الأمم

وثانيهما: أنّه مأخوذ من الأمّة التي هي الجماعة، أي هو على أصل ما عليه الأمّة في أنّه لا يكتب لأنّه يستفيد الكتابة بعد أن لم يكن يكتب. **وثالثهما**: أنّه

---

(1) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: **إستراتيجية تطوير التربية العربية**، ص: 61.
(2) سورة: طه، الآية: 114.
(3) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: **إستراتيجية تطوير التربية العربية**، ص: 61.
(4) ابن منظور: **لسان العرب**، 2/ 34.

مأخوذ من الأمم أي هو على ما ولدته أمّه في أنّه لا يكتب[1]. وقيل: إنما نسب إلى أمّه لأن الكتابة هي مكتسبة فكأنّه نسب إلى ما يولد عليه. وفي الحديث: «إنّا أمّة أمّية لا تكتب ولا تحسب»[2]، أراد أنهم على أصل ولادة أمّهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى[3]. وهكذا فإن «الأمّي من لا يكتب منسوب إلى أمّة العرب، المشهورين بعدم الخط والكتابة، ووصف نبينا محمد ﷺ بالأمّي لذلك»[4].

ويرى الراغب الأصفهاني (502 هـ/ 1108 م) في معنى الأمّية: أنّ الأمّي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمّل ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[5]، وقيل: الأمّية الغفلة والجهالة، فالأمّي منه وذلك هو قلة المعرفة[6].

وقد أشار القرآن الكريم إلى الأمّيين في مواقع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[8].

يقول الطبري (310 هـ/ 923 م) في تفسير الأمّية في الآية الأولى: إن المقصود بذلك «وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنّصارى والأمّيين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم...»[9]. وفي هذا يلتقي الطبري مع كثيرين من المفسرين الذين يرون بأن المقصود بالأمّيين من لا كتاب لهم من غير اليهود والنّصارى.

(1) الزبيدي: **تاج العروس**، 8/ 189 ـ 191.
(2) مسلم: **صحيح مسلم**، 2/ 761.
(3) ابن منظور: **لسان العرب**، 2/ 34.
(4) بهاء الدين العاملي: **الكشكول**، 2/ 393.
(5) سورة: الجمعة، الآية: 2.
(6) الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص: 22.
(7) سورة: آل عمران، الآية: 20.
(8) سورة: الجمعة، الآية: 2.
(9) الطبري: **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، 3/ 143.

obeikandl.com

وفي تفسير الأمّية في الآية الثانية يَنْحو الطبري تقريباً المنحى نفسه عندما قال والأمّيون هم العرب. فعن قتادة (118 هـ/ 736 م) ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[1] قال «كان هذا الحي من العرب أمّة أمّية، ليس فيها كتاب يقرأونه فبعث الله محمداً ﷺ رحمة وهدى يهديهم به». وقال «كانت هذه الأمة أمية لا يقرأون كتاباً» وقال: «إنما سميت أمّة محمد ﷺ الأمّيين لأنّه لم ينزل عليهم كتاباً»[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3].

يقول ابن عباس: (68 هـ/ 687 م) في تعريف الأمّيين الذين وردوا في الآية بأنّهم: «قومٌ لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ولا كتاباً أنزله الله فكتبوا كتاباً بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله. وقال قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أمّيين لجحودهم كتب الله ورسله»[4]. «فأمّية هذا الفريق ليست أمّية كتابية لأنّه قد أخبر أنهم كانوا يكتبون بأيديهم وإنما هي أمّية دينية، أي جهل بالدين وإنكار له وعدم تصديق»[5].

فاصطلاح أمّي طبقاً لهذا الرأي لا يعني الجهل بالكتابة على الرغم من أن التعريف العام للأمّي في الكتب المتخصصة بأنّه «الشخص الذي لا يعرف القراءة والكتابة بأية لغة، وقد تجاوز سن التعليم الأولي»[6].

وفي كلا الحالين إن المقصود هو الكبير الذي يحتاج لمحو أمّيته حتى يواكب تطور المجتمع، الشيء الذي يجعل من محو الأمّية محطة أساسية على طريق

(1) سورة: الجمعة، الآية: 2.
(2) الطبري: **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، 28/ 94.
(3) سورة: البقرة، الآيتان، 78، و79.
(4) الطبري: م. س، 1/ 374.
(5) ناصر الدين الأسد: **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، ص: 45.
(6) Paul Foulque, Dicitionnaire de la Langue Pedagogique, P. 18.

التعليم المستمر الذي طالما دعا إليه الإسلام، ولكن من هو هذا الكبير الذي تستهدفه هذه العملية التعليمية المستديمة؟

الكبير من المنظور الإسلامي

من خلال أمعان النّظر في الأصول الإسلامية، يلاحظ أنه لم يرد تحديد للسن التي يبدأ عندها الصبي التعلم أو عدد السنين التي يجب أن يقضيها في تحصيل العلم. ولكن يمكن الاستدلال على ذلك عبر عدد من الشواهد، في الوقت الذي يجب أن لا يغيب عن البال أن الإسلام قد ألغى الحد الزمني للتعليم من خلال جعل التعلم فريضة؛ علاوة على تكريسه مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما يجعل من التربية والتعليم عملية مستمرة ما استمرت الحياة. ولذلك لم يكن غريباً أن تكون دعوة المسلمين لطلب العلم من المهد إلى اللحد.

غير أن رسول ﷺ يقيد التعلم بالعقل ولذلك فهو «**يعفي من لا عقل له ومن كان عقله غير ناضج من تحمل المسؤولية الكاملة عن السلوك غير السوي؛ لأن المؤاخذ هو العاقل فقط**»[1]. وهو ما يشير إليه الإمام علي رضي الله عنه عندما يقول: «إن القلم رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك وعن النائم حتى يستقيظ»[2]. لذلك فإن علماء الفقه «أجمعوا على ضرورة توافر العلم للإنسان ليصبح عليه التكليف بالواجب. ومن ثم نجدهم قد رفعوا التكليف عمّن لم يصل سن البلوغ على أساس أنّه لم يكتمل نموه بعده، وبالتالي لم يتوافر له نضح العقل الذي يعتبر الأداة الصحيحة لتحصيل العلم، ولذلك أسقط التكليف للسبب نفسه عن المجنون، وهو فاقد العقل، وكذلك البهيمة والجماد»[3].

لذا يمكن القول: إن الكبير هو الصبي الذي نضج عقله، ولم يسبق له أن تَلَقّى العلم الأساسي. وبما أن المُكَلَّف هو العاقل الذي بلغ سن الرشد، وهو ما أشار له القرآن الكريم بلفظة: «الحلم»[4] فإن الكبير إذن هو العاقل الذي بلغ الحلم

---

(1) عبد الرحمٰن صالح عبدالله: **ابن الجوزي وتربية العقل**، ص: 19.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، 7/ 81.

(3) عبد الحي محمد قابيل: **المذاهب الأخلاقية في الإسلام**، ص: 47.

(4) انظر: سورة: النور، الآيتين، 58 و59.

ولم يسبق له أن تلقى العلم الأساسي. ووجهة النظر هذه يعبر عنها الإمام علي ﷺ في قوله: «يُرخى الصبي سبعاً، ويؤدب سبعاً...»[1].

ومن جهة أخرى قد يكون الكبير هو الصبي الذي نضج عقله وبلغ سن العاشرة، ولم يتلق العلم الأساسي. وهذا ما يمكن استخلاصه من قول الرسول ﷺ «**مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر**»[2].

غير أن هناك من كانوا يدفعون بأولادهم لتلقي العلم في سن مبكرة بدليل وصية القابسي (403 هـ/ 1012 م) للمعلم لما يجب أن يقوم به تجاه الصبيان إذ «ينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين»[3]، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّه كان بين الصبيان من هم دون السابعة مما يعني أنهم لم يتقيدوا بسن معينة للبدء بتعليم الأولاد وإنما كانوا يقيدون ذلك بقدراتهم العقلية. وهذا ما يفصح عنه ابن العربي (543 هـ/ 1148م) عندما يقول: «وللقوم في التعليم سيرة بديعة، وهي أنّ الصغير إذا عقل بعثوه إلى المكتب»[4].

وفي الوقت الذي يرى فيه بعضهم أن سن السابعة تعتبر البداية العملية لتلقي العلم عند أطفال المسلمين ينتقد الأهواني مثل هذا الرأي معتبراً «أن هذه السن لم تكن محدودة، وإنما كانت تشمل مرحلة بين الخامسة والسابعة، تبعاً لاختلاف نضج الصبيان وتقدمهم في الفهم والتميز»[5]. ويعزز الأهواني وجهة نظره بما روي عن الإمام مالك عندما سئل عن تعليم الصبيان في المسجد فقال: «لا أدري ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة»[6]. لذا كما يقول الأهواني «فالطفل الذي لا يتحفظ من النجاسة، ولا يستطيع الاستقرار، هو طفل دون السابعة في الغالب»[7].

---

(1) الطبرسي: **مكارم الأخلاق**، ص: 223.
(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، 1/ 334.
(3) أبو داود: **سنن أبي داود**، 1/ 334.
(4) ابن العربي: **أحكام القرآن**، 2/ 291.
(5) أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، ص: 60.
(6) القابسي: **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين**، ص: 324.
(7) أحمد فؤاد الأهواني: م. س، ص. ن.

والاختلاف لم يقتصر على سن الابتداء بالتعليم، وإنما سحب نفسه على سن الانتهاء من مرحلة التعليم الأساسي أيضاً. ويبدو أن من بين الصبيان من كانوا يبلغون سن الاحتلام. وهو ما يتضح من قول القابسي «وإنه لينبغي للمعلم أن يحترس بعضهم من بعض إذا كان فيهم من يخشى فساده، يناهز الاحتلام، أو يكون له جرأة»(1). ومن جهة أخرى كان هناك صبيان ينهون هذه المرحلة من التعليم وهم في سن العاشرة. وهو ما يعبر عنه ابن عباس في قوله: «توفي رسول ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم»(2). وكذلك ابن سينا (428هـ/ 1037م) الذي يشير إلى ذلك في قوله: «ثم انتقلنا إلى بخارى وأحضرت معلم القرآن، ومعلم الأدب وأكملت العشر من العمر، وقد أتيت على القرآن، وعلى كثير من الأدب حتى كان يقضي مني العجب»(3).

ويخلص الأهواني إلى القول: بأن النابغين لا يؤخذون «مقياساً في الحكم على العامة وأوساط الناس، فإذا قدّرنا أنّ الممتاز النّابغ النّابة يحفظ القرآن في العاشرة فإن المتوسط العادي يحفظه في الثانية عشرة، أما المتأخرون فإنهم يحتاجون إلى زمن أطول وهذا هو السر في تخلف بعض الصبيان في الكتاتيب حتى سن الاحتلام»(4). وهكذا فإن مرحلة التعليم الأساسي ـ في نظر الأهواني ـ تستمر خمس سنين تبدأ في السادسة، وتنتهي في سن الثانية عشرة(5).

وتبعاً لوجهة النظر هذه فإن الكبير هو الصبي العاقل الذي بلغ سن الثانية عشرة، ولم يتم مرحلة التعليم الأساسي (الكتّاب).

أما عبد الله فياض فبعد أن يستعرض عدداً من الشواهد المنتمية، يقرّ بصعوبة تحديد السن التي يبدأ عندها تعلم العلوم ـ وهي المرحلة التي تلي مرحلة الكتاب. . . إلّا أنّه يخلص في النهاية إلى القول بأنه لا يمكن استنتاج «قاعدة عامة نستند إليها في تقدير السن التي يبدأ بها الطلبة تعلم العلوم. ولمّا كان الصبي ينهي

(1) القابسي: **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين**، ص: 316.
(2) القابسي: م. ن، ص: 289.
(3) ابن أبي أصيبعة: **طبقات الأطباء**، 3/ 3.
(4) أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، ص: 60.
(5) أحمد فؤاد الأهواني: م. ن، ص. ن.

تعلّمه الأولي حوالي الرابعة عشرة من عمره... يمكننا أن نقترح سن الخامسة عشرة بداية لمرحلة تعلم الطلبة العلوم»(١).

وبناء على هذا الرأي فإن الكبير هو العاقل الذي بلغ سن الرابعة عشرة ولم ينه مرحلة التعليم الأساسي.

يتضح مما سبق صعوبة الجزم بالوصول إلى قاعدة عامة وثابتة في شأن تحديد من هم الكبار. إلّا أن هذا لا يمنع من أن يدلي المرء برأيه على ضوء ما لديه من معطيات. فمن هذا المنطلق واستناداً لما سبق يمكن القول: إن الكبير هو الصبي العاقل الذي يتراوح سنّه بين العاشرة والرابعة عشرة ولم ينه مرحلة التعليم الأساسي. وإذا كانت هذه وجهة نظر غير قطعية فإن ما هو قطعيّ، هو أن النّصوص ذات الصلة بالموضوع جميعها تؤكد على أهمية العلم وضرورة الشروع به في سن مبكرة ـ على أساس أن الإسلام دعوة إلى العلم ـ وهو عين ما عبّر عنه الرسول ﷺ عندما قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(2). وامتثال المسلمين لأمر الرسول جعل من طلب العلم من المهد إلى اللحد حقيقة واقعة بين صفوف أبناء المجتمع الإسلامي. وبهذا يكون الإسلام قد أسقط الحد الزمني لهذه العملية التي يفترض أن تستمر ما استمرت الحياة، مع مراعاة حقيقة أن «أَقْوَم التقويم ما كان في الصغر فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرّن كان ردّه صعباً»(3).

وفي جميع الأحوال: إن «تعليم الكبار ليس وقفاً على طلقاء الأميّة ولا يشكل مراحل متابعة متقدمة للأمّيين وحدهم فتعليم الكبار عملية مستمرة، وتخدم أشكالاً متعددة من جوانب النشاط التعليمي، فقد يكون تعليماً تكميلياً لبعض المراحل، وقد يكون تأهيلياً، وقد يكون إعداداً جديداً، وقد يكون متابعة ضرورية لفروع التخصص، أو الثقافة العامة، وهي ممارسة يومية لكل إنسان يكتسب جديداً من خبرة أو فكرة أو علاقة... فتعليم الكبار في هذا المفهوم عملية تكيّف، ثقافي،

---

(1) عبدالله فياض: **تاريخ التربية عند الأمامية وأسلافهم من الشيعة في عهدي الصادق والطوسي**، ص: 206.

(2) الطبراني: **المعجم الكبير**، 10/ 195.

(3) ابن الجوزي: **الطب الروحاني**، ص: 45، 46.

واجتماعي، وسياسي، ومهني، وديني مستمر مدى الحياة»[1]. مما يعني أن تعلم الكبار في الإسلام يُعَبِّر تعبيراً صادقاً عن التربية الإسلامية التي تتميز عن غيرها بصفات الاستمرارية والتكامل والشمول على قاعدة من التوازن في مراعاة حاجات الروح والجسد ومتطلبات الحياة الدنيا والآخرة بما يكفل عمارة الأرض وتحقيق الخلافة الصالحة التي تعتبر مسوغ وجود الإنسان في هذه الحياة.

التكليف وتعليم الكبار

لقد كان الإنسان وما يزال عرضة لكثير من التعاريف. إلّا أنّه «إذا كان للمناطقة أن يعرفوا الإنسان... بأنّه حيوان ناطق. أو جاز للاجتماعيين أن يعرّفوه... بأنه حيوان مدني بالطبع، فإنّه يمكن تعريف الإنسان من وجهة نظر الشريعة بأنه الكائن المكلّف، لأنه ـ من بين سائر المخلوقات التي تعيش على وجه الأرض ـ مناط بالتكليف والمسؤولية»[٢]. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[3].

والراشد هو المكلف في الإسلام لأنه «الوحيد بين هذه الكائنات الذي يملك إرادة حرة يستطيع أن يختار طريقه ضمن نطاق السنن والقوانين والأقدار التي أحيط بها. فالجماد يطيع إطاعة آلية دون إرادة أو اختيار خاضعاً للقوانين والسُّنن التي وضعها الله. أما الحيوان فإنّه محكوم بغرائزه التي ركّبها الله فيه ولا يستطيع الخروج على قواعد هذه الغريزة المسيطرة»[4].

وأمام هذا الواقع، ورغم صعوبة الجزم في تحديد من هو الكبير في إطار ما يعرف اليوم بتعليم الكبار، يشكل «التكليف» نقطة تقاطع لشتى وجهات النظر على اعتبار أنّه أمر موجب للتعلم في الإسلام. فالتعليم والتكليف حقيقتان متلازمتان على طريق تحقيق حكمة الله في خلق هذا الكيان المسمى إنساناً. وحتى تتحقق الرسالة

---

(1) محي الدين صابر: **الأمّية مشكلات وحلول**، ص: 28.
(2) عبد الكريم عثمان: **معالم الثقافة الإسلامية**، ص: 158.
(3) سورة: الأحزاب، الآية: 72.
(4) عبد الكريم العثمان: **معالم الثقافة الإسلامية**، ص: 158.

وتتم العبادة على الوجه الأمثل كان لا بد من التعليم. وهل ينفع القرآن إلّا بالعلم؟

التبليغ وتعليم الكبار

صحيح أن الإنسان جُبِلَ على الإسلام وفُطِرَ على التزامه كغيره من مخلوقات هذا الكون. «ومن الجهة الأخرى هو بالخيار في كونه مسلماً أو غير مسلم. وهذه الخيرة هي التي تجعل الإنسان على نوعين: إنسان يعرف خالقه ويؤمن به رباً ومالكاً وسيداً لنفسه ويتبع قانونه الشرعي في حياته الاختيارية. كما هو تابع لقانونه الطبيعي في حياته الجبرية. وهذا هو المسلم الكامل الذي قد استكمل إسلامه... وأزائه إنسان آخر ولد مسلماً وعاش مسلماً طول حياته، من غير أن يشعر بإسلامه أو يفطن له. ولكنّه ما أعمل قوته العملية والعقلية ليعرف من خلقه، وشق سمعه وبصره، فأنكر وجوده، واستكبر على عبادته، وأبى أن ينقاد لقانونه الشرعي فيما أوتي فيه حق التصرف والاختيار من أمور حياته، أو أشرك به غيره وأبى أن يؤمن بآياته الدّالة على وحدانيته وهذا هو الكافر»[1].

إلّا أن الله تعالى رحمة بعباده «أرسل للناس رسلاً مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم شرائع تبين للناس ما يحتاجون إليه من بيان للعقيدة الصحيحة، وللمناهج التي يجب أن يسلكها الإنسان ليصل إلى رضوان الله سبحانه، وإلى السعادة والحياة الطيبة في الدنيا، ثم الفوز برضوان الله والجنّة في الآخرة، وذلك لئلا يكون للناس على الله حجة بأنّه لم يرسل لهم من يبلغهم أوامره ونواهيه وسائر شرائعه، ويرغبهم بثوابه، وينذرهم عقابه، حتى يعرفوا واجبهم نحو ربهم»[2]. قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[3].

فالرسول بمثابة الميزان العادل بين الطبقات، والهادي المرشد المنقذ من الضلالات، فيه تعرف كل نفس ما لها وما عليها، وبه ينصف المظلوم ويتبيَّن الرشد من الغي. فمتى آمن الناس به واتبعوه وصدّقوا ما جاء به انتظمت شؤونهم وسعدت معيشتهم، وتهذبت نفوسهم، واستقامت أمورهم وانقلب شقاؤهم إلى سعادة.

---

(1) أبو الأعلى المودودي: **مبادىء الإسلام**، ص: 7 ـ 9.

(2) عبد الله عرواني: **أصول العقائد الإسلامية**، ص: 59.

(3) سورة: النساء، الآية: 165.

وحتى يقوم الرسل بمهامهم كان لا بد لهم من العلم والتعلم. ولقد كان أبرز موقفين تعليميين في حياة البشرية هما: الموقف التعليمي الأول: لآدم ﵇، والموقف التعليمي الأخير: لمحمد ﷺ. وإذا كانت رسالة السماء إلى البشر بدأت بتعليم آدم الأسماء كلها، فإنها ختمت بالرسالة الخاتمة التي بدأت أيضاً بأمر الله لمحمد ﷺ بأن يقرأ. يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

فآدم ومن جاء بعده من الرسل وكان آخرهم محمد ﷺ عُلّموا ما لم يعلّمه غيرهم من البشر، والمعرفة التي اختصوا بها كانت وسيلتهم ليقوموا بمهام التكليف، ويعلّموا الناس الأحكام والمعتقدات التي علموها حتى يعملوا بها. ولما كان التكليف بالتبليغ مناطاً بالعاقل الراشد الذي أختير من صفوة الناس. فإن الإيحاء لهذا الصنف من البشر يعبر ـ من جملة ما يعبر عنه ـ عن مواقف تعليمية خاصة بالكبار الذين وضع الله حداً لأميتهم عن طريق العلم الذي تلقوه والمعرفة التي زودوا بها، حتى ليتمكن الإنسان من خلالهم أن يقف على ما لا بد من معرفته، وما تعجز أدوات حسه وعقله من دركه. والقرآن الكريم يتحدث عن هذه المواقف التعليمية ويبرزها في أكثر من موقع.

ومن أمثلة ذلك ما ورد بشأن تعليم آدم ﵇ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾[2]. فكان هذا أول موقف تعليمي تشهده الخليقة. خُصّ به آدم ليقوم بمهمة التكليف وليحمل الرسالة، الأمر الذي خفيت فيه على الملائكة حكمة المشيئة العليا في هذا التكليف.

وتتابعت المواقف التعليمية مع باقي الرسل وفي مقدمتهم نوح ﵇ الذي

---

(1) سورة: العلق، الآيات: 1 ـ 5.

(2) سورة: البقرة، الآيات: 31 ـ 33.

جاء فيه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وكذلك بشأن إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[2].

أما خاتم الرسل ﷺ فقد بعثه الله تعالى «ليعلّم المسلمين القرآن والسنة وينقذهم من مهاوي الشرك والوثنية، ويهديهم إلى العقيدة الصحيحة والشريعة الخاتمة للشرائع، ويسن لهم الطرق القويمة في الأخلاق والمعاملات، وما ينفعهم في شؤون الدنيا والآخرة، ويقص عليهم الأخبار الصحيحة للماضين عظة وذكرى»[3]، يقول تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾[4].

ولقد «بدأ هذا الأمي ﷺ الذي لم يولد ولم يقم طول حياته إلّا في الصحراء بين الأميين، يأتي بحكم ومواعظ لم ينطق بها أحدٌ قبله، ولا استطاع أن ينطق بها أحد بعده، بل لم يسمعها الناس من لسانه نفسه قبل أن يبلغ أربعين من عمره»[5].

فحكمة المولى ﷻ اقتضت أن يجعل من الرجل الذي نشأ على الفطرة في أمّة عريقة في الجهل، ولم يعمل إلاّ برعي الغنم أو التجارة أن يتعلم وهو في الأربعين من عمره وأن يربى على عين ربه لقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[6].

ومن أبرز صفات هذا التعليم الموجه لواحد من كبار الأميين الذين اصطفاهم الله تعالى أنّه كان تعليماً مستمراً بدليل أن الرسول ﷺ استمر في التلقي والتعليم في

(1) سورة: هود، الآيتان، 36، 37.
(2) سورة: الأنعام، الآيتان، 74، 75.
(3) سعيد إسماعيل علي: **رؤية إسلامية لقضايا تربوية**، ص: 19.
(4) سورة: البقرة، الآية: 151.
(5) أبو الأعلى المودودي: **مبادىء الإسلام**، ص: 67.
(6) سورة: الطور، الآية: 48.

مدرسة الألوهية طيلة فترة حياته، وهو ما يؤكده «نزول القرآن منجماً وموزعاً على مدى الزمن الذي ابتعث فيه الرسول ﷺ هادياً ومعلماً ـ وهو ثلاث وعشرون سنة ـ حتى إن آخر آية نزلت عليه وهي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] كانت في حجة الوداع حيث العام الأخير من حياة الرسول ﷺ والمعروف أن القرآن الكريم دستور المسلمين ومنبع التشريع لهم، وأصل الأصول في المعرفة»[2].

وهناك خاصية أخرى يمكن الوقوف عليها، وهي أن هذا النشاط التعلمي له وجهان متلازمان: الأول: تعلّمي، والآخر: تعليمي. فالرسول ـ وهو المعلم الأول ـ كان متعلّماً بالنسبة لله تعالى الذي يُشكل مصدر العلم كله.

وهكذا فإن كل من جاء بعد الرسول الكريم فإنّه متعلّم بالنسبة لمن فوقه، ومعلّم لمن دونه في العلم والمعرفة، وهذا ما يفترض أن يكون عليه المجتمع الإسلامي حتى يصدق فيه قول الله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[3].

يتضح من خلال السياق أنّ التربية التي حظي بها خاتم الأنبياء ومن سبقه من الرسل، تعتبر الأصول الذي يرتكز إليها الكثير من المبادىء والمفاهيم الخاصة بما هو متعارف عليه اليوم بتعليم الكبار. وما يعزز هذه القناعة أكثر فأكثر هو أن الأوامر أو التكاليف الإسلامية بتحصيل العلم والسير في ركابه «إنما هي أوامر أو تكاليف تتجه إلى الكبار والراشدين، ولا تتجه إلى أطفال، ومن ثم كان تعليم الأطفال في الإسلام هدفه تمكين هؤلاء الأطفال من تحصيل العلم عندما يصلون إلى سن التكليف»[4]. مما يعني أن التعليم في الإسلام عملية مستمرة ما استمرت الحياة، وما تعليم الكبار إلاّ مرحلة من مراحل هذا التعليم المستديم.

---

(1) سورة: المائدة، الآية: 3.

(2) حسين سليمان قورة: **«التربية مدى الحياة أساس واضح في منهج التربية الإسلامية»**، مجلة التربية، الدوحة، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، جمادى الأولى 1396 هـ/ أيار 1976 م، عدد 15، ص: 37.

(3) سورة: التوبة، الآية: 122.

(4) عبدالغني عبود: **في التربية المستمرة ومحو الأمّية وتعليم الكبار**، ص: 281 ـ 282.

العبادة وتعليم الكبار

للوقوف على طبيعة العلاقة بين العبادة وتعليم الكبار في الإسلام لا بد من تحديد مفهوم هذه العبادة في ضوء نظره الإسلام للإنسان لما لذلك من فائدة على صعيد توضيح طبيعة هذه العلاقة وأهميتها في تحديد دور الإنسان في هذه الحياة.

معنى العبادة

لطالما تساءل الإنسان عن سبب خلقه والغاية منه. هذا السؤال الذي شغل بال الفلاسفة والمفكرين عبر تاريخ البشرية، إلاّ أنهم لم يهتدوا إلى رأي ثابت في حل أسراره. وإذا كان هناك من يرى أن «أعظم مسائل الفلسفة وأجلّها شأناً ثلاث مسائل وهي: **أولاً**: ما الذي نستطيع معرفته؟ **وثانياً**: ما الذي يجب أن نعلمه؟ **وثالثاً**: ما الذي نرتجيه ونعلق آمالنا عليه؟»[1] استطاع الإسلام أن يضع حداً لهذه التساؤلات من خلال الإجابة الواضحة عن هذه المسائل التي شغلت بال الكثيرين. وذلك عندما حدد القرآن الكريم بوضوح الغاية من خلق الإنسان.

وآيات القرآن الكريم في هذا الشأن كثيرة، ومنها على سبيل المثال قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾[3].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[4].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[5].

---

(1) عفيف طبارة: **روح الدين الإسلامي**، ص: 191.
(2) سورة: الذاريات، الآيات: 56 ـ 58.
(3) سورة: البقرة، الآية: 21.
(4) سورة: الأنبياء، الآية: 25.
(5) سورة: النحل، الآية: 36.

ففي هذا بيان واضح على أن الله خلق الناس جميعاً لعبادته، وأرسل الرسل جميعاً إليهم يأمرونهم بعبادته ﷻ، ومن ثم فعليهم أن يتعلموا ما يُعينهم على عبادة الله ﷻ[1]. مما يعني أن «من أبرز سمات المنهج الإسلامي أنه منهج عبادة. ولكن العبادة في هذا المنهج تحتاج إلى توضيح»[2] لأن هناك من «لا يفهم من معنى العبادة إلّا أنها الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والصدقة وبعض الأذكار والأدعية، مع أن هذا جانب واحد فقط من جوانب العبادة. فالعبادة تشمل النشاط الإنساني كله؛ لأن نشاط الإنسان المسلم كله حركة واحدة متجهة نحو تحقيق غاية وجوده»[3].

ولما كان الإنسان هو العبد والله ﷻ هو المعبود فإن «كل ما يأتي به العبد في طاعة معبوده هو العبادة... وجملة القول: إن خوفك لله تعالى في كل شأن من شؤون حياتك، وفي كل حين من أحيانك، وجعلك مرضاة الله نصب عينيك واتباعك لقانونه، ورفضك كل منفعة تنالها أو يمكن أن تنالها بمعصية، وصبرك على مضرة تصيبك أو يمكن أن تصيبك بطاعته، ذلك كله عبادتك لله تعالى، وحياتك بهذا الطريق من أولها إلى آخرها عبادة، وليس الأكل والشرب والنوم واليقظة والقعود والقيام والمشي والكلام والسكوت إلّا من العبادة في حياة كهذه»[4].

ولهذا فإن «الصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الشعائر التعبدية إن هي إلّا مفاتيح... مجرد مفاتيح للعبادة أو «محطات» يقف عندها السائرون في الطريق يتزودون بالزاد. ولكن الطريق كله عبادة، وكل ما يقع فيه من نُسك أو عمل، أو فكر أو شعور فهو كذلك عبادة... ما دامت وجهته إلى الله»[5].

فالعبادة بهذا المعنى تجعل وعي الإنسان للبعيد الآجل أقوى من وعيه

---

(1) عبد الفتاح جلال: **من الأصول التربوية في الإسلام**، ص: 81.

(2) محمد قطب: **منهج التربية الإسلامية**، 2/ 34.

(3) علي أحمد مدكور: **«المضامين الإسلامية لتعليم الكبار في ضوء القرآن والسنة»**، علم تعليم الكبار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 6/ 62.

(4) أبو الأعلى المودودي: **مبادىء الإسلام**، ص: 128، 129.

(5) محمد قطب: **منهج التربية الإسلامية**، 1/ 34.

للقريب العاجل. وبهذا فهو يبتعد عن الحيوانية ويرتفع عن مستواها ليصبح أرق روحاً وعقلاً؛ لأنه أصبح يدرك أن «الحلقة النهائية من هذه الحلقات، والدائرة القصوى من هذه الدوائر المحيطة به هي تلك التي تحدد موقعه من الكون وخالق الكون وهي أهم تلك الحلقات، وموقعه منها أهم وأسمى من موقعه من الحلقات الأخرى، فهي التي تريه موقعه هو والكون ـ باعتباره وجوداً عارضاً ـ من الوجود الأزلي الثابت، أي باعتباره مخلوقاً لخالق، وخاضعاً لأمر حقيقي أعلى ومرتبطاً ارتباطاً دائماً ومفتقراً مستمراً لغني عن وجود غيره ولقائم بنفسه وذاته»[1].

فقيمة العبادة في الإسلام أن تكون منهج حياة والمتتبع لما جاء في القرآن الكريم يجد أن «مدلول العبادة في القرآن شامل لا يقتصر على الفرائض، فالحياة في منهجه وحدة، كل ما فيها لله، لا يفصل بين طريق الدنيا وطريق الآخرة، ولا يفرق بين الفرائض والسلوك، ويجعل كل حركة في حياة المسلم وثيقة الصلة بعقيدته، متجهاً بها إلى ربه منفذاً بها أمره ومحققاً رسالته»[2].

وحتى يسهل على الإنسان أن يعبد الله في كل حين من أحيانه «افترض عليه لهذا الغرض مجموعة من العبادات تهيئه لهذه العبادة الكبيرة، فكأنه ليست هذه العبادات المفروضة إلاّ بمثابة التربية للعبادة الكبيرة المنشودة، فكل من يتلقى هذه التربية على أحسن وجه يؤدي العبادة الحقيقية على الوجه المراد.

ومن أجل ذلك جعلت هذه العبادات عين الفريضة في الإسلام، وقيل: إنها أركان الدين أي دعائمه. . . فكما أن كل بناء لا يقوم إلّا على مجموعة من الدعائم كذلك لا يقوم بناء الحياة الإسلامية إلّا على هذه الدعائم. فمن هدمها فقد هدم بناء الإسلام»[3].

فالعبادة في الإسلام إذن تقسم إلى قسمين: «عبادة بالمعنى الخاص» وهي التي أنشأها الله لتكون الصلة المباشرة بين الإنسان وخالقه، وتشكل الحد الأدنى

---

(1) محمد المبارك: **نظام الإسلام العقيدة والعبادة**، ص: 191.

(2) محمد شديد: **منهج القرآن في التربية**، ص: 214.

(3) أبو الأعلى المودودي: **مبادىء الإسلام**، ص: 130.

المفروض للعبادة والمتمثل بالفرائض المعروفة. و«عبادة بالمعنى العام» وتشمل كل عمل صالح أريد به رضوان الله.

والإسلام عندما ينظر إلى كل عمل صالح على أنّه عبادة، فهو بذلك إنما يحارب «الفلسفة» الانهزامية الانعزالية التي تدعو إلى النسك الأعجمي وإلى الضعف والكسل في حياة تحتاج إلى القوة والغنى والعمل. وهذا التفسير المزدوج لمعنى العبادة هو التفسير السليم لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1].

تعليم الكبار والعبادة بمعناها الخاص

إن خطاب الرسول المتعلق بالشعائر المكتوبة في قوله: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»[2] خطاب مُوجَّه للكبار من أبناء المسلمين الذين يقع عليهم التكليف، على أساس أن الرشد شرط موجب للعبادة في الإسلام ـ غير أنه لا تجب أية فريضة من الفرائض على الكافر وجوب مطالبة بها في الدنيا لعدم صحتها منه، لكن تجب عليه وجوب عقاب عليها في الآخرة ـ ولطالما أن هذه العبادة فرض على هؤلاء الكبار فإن تعلمها واجب لأن «هذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب»[3] الأمر الذي يجعل من تعلم وتعليم الكبار في الإسلام أمراً ملزماً إلزامية أداء الشعائر التي أمر بها الله تعالى ورسوله الكريم.

فالمسلم ـ مثلاً ـ لن يكون بمقدوره أداء الصلاة ما لم يكن على علم بالطهارة وشروطها وصحتها ومفسداتها. هذا إلى جانب حفظه لقسط من القرآن الكريم وشيء من الأدعية التي تمكنه من توفير الحد اللازم لأداء هذه الفريضة بالشكل المطلوب. لذلك فإن طلب العلم للكبار والحرص على تحصيله يعتبر مهمة رئيسة من المهام الملقاة على عاتق الذكور والإناث من أفراد المجتمع الإسلامي

(1) سورة: الذاريات، الآية: 56.
(2) البخاري: **صحيح البخاري**، 1/ 14؛ مسلم: **صحيح مسلم**، 1/ 45.
(3) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، 1/ 26.

طالما أن المسلم يطلب العلم ليعلم دينه، ويؤدي ما فرض عليه من تصور وعمل.

ولما كان الإحسان مبدأ الإسلام في كل شيء فإن هذا المبدأ يرتب على المسلم الاستزادة المستمرة من العلم والمعرفة كي يؤدي كل شأن من شؤون حياته على الوجه الأمثل طمعاً في أن يرقى لمرتبة الإحسان. يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[1]. ويقول محمد ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، ويرح ذبيحته**»[2]. فإذا كان هذا هو المطلوب في شؤون الحياة العامة فمن باب أولى أن تحظى عبادة الله على هذا المستوى الرفيع من الأداء الذي يرقى بصاحبه لمرتبة الإحسان التي قال عنها الرسول ﷺ «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لا تراه فإنّه يراك**»[3].

ولا شك أن الإحسان في العبادة دليل على المواظبة عليها، والعبادات الخمس في الإسلام لا تخرج عن كونها محطات دائمة للتربية المستمرة وتعليم الكبار. فالصلاة مثلاً تؤدى عدة مرات في اليوم. والدروس التي تذكّر بها الصلاة خمس مرات في الليل والنّهار، يذكر بها الصوم في كل حين من الأحيان على مدار شهر كامل من كل سنة، وكذلك بالنسبة للزكاة التي تؤدى مرّة كل عام. والحج الذي يؤدى مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا.

فالدروس التي يستقيها المسلم الكبير من هذه العبادات تستمر معه لتؤكد على ضرورة التعلم المستمر للكبار. هذه العملية التي ينبثق عنها كثير من المعاني الإنسانية التي «تجمع الناس على إلفة بارّة، ومحبة صادقة، وأمن موفور، وبها تتحقق الوحدة الإنسانية التي ينشدها الإسلام بعقائده الراسخة وآدابه الكاملة وفرائضه الهادفة»[4].

وجملة القول: إن التعليم المستمر للكبار حقيقة واقعة في إطار العبادات

---

(1) سورة: النحل، الآية: 90.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، 3/ 1548.

(3) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، 1/ 24.

(4) محمد الراوي: **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، ص: 18.

المكتوبة، انطلاقاً من ضرورة الاستمرار في طلب العلم، حتى تؤدى هذه العبادات على الوجه الشرعي المطلوب، علاوة على أن هذه العبادات بمثابة مواقف تعليمية متكررة تساعد كل من يرغب الإفادة منها على أن يرقى لمرتبة الإحسان، وهي المرتبة التي يتوق أن يصل إليها كل مؤمن بالله، ومحب لرسوله الذي يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[1]. وما الإحسان في العبادة إلّا ثمرة من ثمرات هذا التفقه الذي طالما دعا الرسول ﷺ إليه، إذ يقول: «**تعلموا الفرائض وعلموها فإنّه نصف العلم وهو ينسى**»[2].

وبما أن النسيان وكذلك «الجهل بأركان الإيمان، وأركان الإسلام وأحكام الشريعة الربّانية المتعلقة بالأعمال التي يقوم بها كل إنسان، مفضياً إلى ضرر محقق ينزل بالإنسان وهو عقاب الله يوم القيامة بالإضافة إلى المضار الدنيوية الأخرى. كان تعلم هذه الأمور وتعليمها مما هو مفروض في الشريعة الإسلامية، وكان الإستمرار على الجهل بها مع توافر الوسائل لتعلمها محرماً لا يعذر به صاحبه»[3] الأمر الذي يجعل من مسألة تعليم الكبار مسألة من أشرف المسائل التي يتحمل مسؤوليتها الإنسان.

لأن هذه المسألة تصبح فرضاً لازماً بالنسبة للأمور التي يؤدي الجهل بها إلى الضرر بالمجتمع، وهو ما يرفضه الإسلام الذي ينهى عن الضرر والإضرار بالناس.

تعليم الكبار والعبادة بمعناها العام

يعتبر الشمول من السِّمات البارزة والمميزة للعبادة في الإسلام على أساس أن الإسلام منهج حياة. ولذلك فإن مفهوم العبادة وفق هذه النظرة لا يقتصر على أداء الشعائر التعبدية المعروفة، وإنما يتميز لكونه أعمق من ذلك بكثير[4]. والإسلام «يوسع مفهوم العبادة حتى تشمل كل الحياة. كل عمل يتوجه به الإنسان إلى الله فهو عبادة، وكل عمل يتركه الإنسان تقرباً واحتساباً فهو عبادة. وكل شعور نظيف في

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، 1/ 46.
(2) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، 2/ 908.
(3) عبد الرحمٰن حسن حبنكه الميداني: **أسس الحضارة الإسلامية**، ص: 58 ـ 59.
(4) أنظر: أبو الأعلى المودودي: **مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة**، ص: 39 ـ 42.

باطن النفس فهو عبادة، وكل امتناع عن شعور هابط من أجل مرضاة الله فهو عبادة، وكل ذكر لله في الليل والنهار فهو عبادة، ومن ثم تشمل الحياة ويصبح الإنسان عابداً لله حيثما توجه إلى الله»[1].

فالإسلام صريح وواضح في اعتبار العمل هو العبادة ما دام المقصود به مرضاة الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[2].

وفي هذا تأكيد على أن «العبادة ليست انزواء عن الحياة، أو اعتكافاً بالمساجد، وإنما العبادة في مفهومها الواسع المحقق للعقيدة تشمل جميع أعمال الإنسان التي يقصد بها رضاء الله وتحقيق العبودية الكاملة له ﷻ، والعبودية تتطلب إعمار الأرض وهو الرسالة الدنيوية للإنسان»[3].

وقد اقتضت خلافة الأرض وإعمارها أن يهيأ الإنسان لهذه المهمة، بما أكرمه الله من عقل وإرادة وقدرة على العمل وبما أودع في الأرض من موارد لاستخدامها من قبله.

ولما كانت عمارة الأرض وترقية الحياة عليها المهمة الأساسية للإنسان في هذا الوجود، فإن تحقيق الخلافة الصالحة في الأرض يشتمل على العديد من المعاني، والأمور التي لا تتحقق الخلافة الكاملة بدونها. ومن ذلك «العمل الدؤوب بجد وإخلاص وأمانة ودقة، من أجل تعمير الأرض، والاستمرار في إصلاحها، والانتفاع بخيراتها، وبكل ما أودعه الله فيها من ثروات وطاقات من أجل خدمة الإنسان وتحسين مستوى حياته، وتحقيق سعادته، وجعل هذه الأرض المكان الذي

---

(1) محمد قطب: **منهج التربية الإسلامية**، 1/ 67.

(2) سورة: البقرة، الآية: 177.

(3) محمود أحمد موسى: **«قضايا المجتمع»، في الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادىء**، ص: 180.

ينال فيه الإنسان قسطاً من الجزاء الأكبر من عمله وكدّه وجهده في هذه الحياة، كما يشمل كل جهد يبذله الإنسان من أجل الكشف عن الحقائق والقوانين العلمية المختلفة، وعن ثروات الأرض وكنوزها والمحافظة على الثروات، والاقتصاد في استعمالها... إلى غير ذلك من الأمور التي تدخل في مفهوم خلافة الإنسان على الأرض»[1]. فالله جلّت حكمته «لم يخلق الإنسان ولا الكون عامة عبثاً وبدون حكمة، لأن العبث وفقدان الحكمة يتنافيان مع كماله تعالى»[2].

وعندما يتأمل المرء بحال الأرض «يرى في بعض تأمله أن الله قد استودعها من الخيرات ما هو ضروري لقيام البدن ووقايته عوادي الحر والبرد، ولكنه استودعها ـ عدا ذلك ـ من الثروات المعدنية، ودقائق القوانين، والطاقات ما لا حاجة بالبدن له... ويرى تجاه هذا أمراً عجباً... يرى أن الله استودع الإنسان من أسرار المواهب والقدرات ما يعتبر مفاتيح لكنوز هذه الثروات... أو استودعه من المواهب ما يلتئم مع قوانين طبيعة الأرض التئام السالب بالموجب، في تقدير محكم... ولم يكن ذلك رمية من غير رام... كلا بل هي الحكمة الإلٰهية التي جعلت في الأرض كنوزها وقوانينها، وجعلت مفاتيح هذه الكنوز فيما أوتي البشر من أسرار المدارك، وتقدير هذه المقابلة، بل الموافقة المحكمة بين هذين الطرفين يوحي ـ ولا بد ـ أن مراد الله سبحانه بها هو عمارة الأرض على أوسع وأروع ما تكون العمارة»[3].

فالعمل يشكل الدعامة الأساسية في بناء المجتمع وعمارة الحياة، وترقيتها فيه ولذلك فإن «العمل الجاد الذي تعمر به الحياة وترقى، هو أن ينصر كل منا الإسلام في ميدان تخصصه بالإنجاز فيه والإنتاج والإبداع»[4].

والرسول ﷺ يحث على إتقان العمل ويقول: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم**

---

(1) عمر محمد التومي الشيباني: «**قضايا الإنسان**»، **في الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادىء**، ص: 165.

(2) عمر محمد التومي الشيباني، م. ن، ص. ن..

(3) البهي الخولي: **الثروة في ظل الإسلام**، ص: 62.

(4) علي أحمد مدكور: «**المضامين الإسلامية لتعليم الكبار في ضوء القرآن والسنة**»، **في علم تعليم الكبار**، 6/ 62.

عملاً أن يتقنه»[1]. لأن إتقان الإنسان لعمله يكسبه قيمة بين الناس ويرقى به في مجتمعه وعند بارئه، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[2]. فالعمل في نظر الإسلام هو الذي يعطي الإنسان قيمته. ومن دلائل عظمة العمل وجلال شأنه اشتمال القرآن الكريم على ثلاثمائة آية تتحدث عن العمل[3]. ولقد ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾[4]. ويقول الرسول ﷺ: «**ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقته الأعمال، وأن قوماً رحلوا من الدنيا وليس لهم عمل، وقالوا: نحسن الظن بالله، كذبوا، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل**»[5].

والمسلم المتذوق لدينه له منظور خاص للعمل فهماً وإتقاناً وشوقاً وإخلاصاً. فهو يخرج لعمله مدفوعاً بعقيدته وغير مساق سوق القطعان وغير واقع تحت قهر أو ضغط أو تهديد يشهر عليه سيف التلويح بالجوع أو الحرمان، وإنما يدفعه إيمانه بأن نجاحه في الدنيا وسعادته في الآخرة موقوفان على عمله، فالجنة ليست لمتكاسل أو لذي بطالة[6].

وليس العمل في الإسلام للحاجة فحسب بل لتحقيق مفهوم الخلافة، وهو ما يعبر عنه عمر رضي الله عنه عندما يقول: «يا معشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس»[7]. فهو بخطابه يحث على العمل بصفة عامة، وعلى المسلم أن يكسب قُوته من أي حرفة، أو صنعة، أو وظيفة، أو مهنة من المهن ما دام اكتسابه يقوم على ما يرضي الله لأن ذلك يسهم في خدمة الإنسان وعمارة الحياة وترقيتها وفق منهج الله تعالى. ولذلك فقد «جعل الله طلب الرزق مفروضاً على الخلق كله

(1) أبو يعلى الموصلي: **مسند أبي يعلى الموصلي**، 7/ 349.
(2) سورة: النجم، الآيات: 39 ـ 41.
(3) محمد فؤاد عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص: 483 ـ 488.
(4) سورة: المائدة، الآية: 9.
(5) ابن عدي الجرجاني: **الكامل في ضعفاء الرجال**، 6/ 289.
(6) يوسف القرضاوي: **الإيمان والحياة**، ص: 286.
(7) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، 2/ 306.

من الإنس والجن والطير والهوام، منهم بتعليم ومنهم بإلهام، وأصل التحصيل والنظر من الناس يطلبونه بأحسن وجوه من التصرف والتحرز وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلابة والاحتيال»[1].

ولذلك يمكن القول إن الزارع والعامل والتاجر والموظف وكذلك الطبيب والمهندس والمخترع والمدرس والطالب والفرّاش والوزير والرئيس وكل ذي حرفة في حرفته يستطيع أن يجعل من عمله المعاشي صلاة وجهاداً في سبيل الله إذا التزم فيه الشروط الآتية[2]:

1 ـ أن يكون العمل مشروعاً في نظر الإسلام.

2 ـ أن تصحبه النية الصالحة بنفع نفسه وأمته وعمارة الأرض وفق منهج الله.

3 ـ أن يلتزم الإتقان والمهارة والإحسان في العمل.

4 ـ أن يلتزم فيه حدود الله بالبعد عن الظلم والغش والجور.

5 ـ ألّا يشغله عمله هذا عن أداء التزاماته التعبدية الأخرى.

ويبدو واضحاً أن العمل الذي يحبب فيه الإسلام ويدعو إليه هو «العمل الصالح الذي تزكو به النفس. وتقوم به الأخلاق، وتتسع به دائرة البر، وتقوى به العلاقات الإنسانية، وتصان به الأديان، والأبدان، والأعراض، والأموال، والقلوب والعقول، العمل الذي ينمي الانتاج ويزيد الثروة، ويحفظ كرامات الأفراد، ويصل بالأمة إلى غايتها من السيادة والمجادة»[3].

ولذلك ليس غريباً على الإسلام أن «يفرض العمل فرضاً ولا يعد الإيمان إيماناً بدونه. ويوم المؤمن فيه يبدأ من مطلع الفجر الصادق وظهور النجم المتألق. فيبتدىء يومه بذكر ربه وعبادة خالقه، ثم ينطلق في الأرض يمشي في مناكبها ويبتغي من فضل الله»[4].

---

(1) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، 2/ 306..

(2) يوسف القرضاوي: **العبادة في الإسلام**، ص: 61، 62.

(3) السيد سابق: **عناصر القوة في الإسلام**، ص: 166.

(4) محمد الرواي: **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، ص: 21.

وصفة الشمول التي تميز العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد تمكن «الإنسان أن يعيش لدنياه وهو يعيش لآخرته، وأن يعمل لله وهو يعمل لمعاشه، وأن يحقق كماله الإنساني الذي يطلبه الدين، في مزاولة نشاطه اليومي في خلافة الأرض وفي تدبير أمر الرزق»[1] لطالما أنّه مخلص في التوجه إلى الله تعالى.

ولكن العمل القويم في الإسلام لا يبنى على الظن، وإنما على المعرفة الصحيحة لأن عقيدة الإسلام عقيدة وضوح واستقامة ونصاعة. «فلا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة»[2].

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[3]. فالكلمات القليلة التي وردت في الآيات الكريمة «تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة. فالتثبت من كل خير ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل. ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم»[4].

فالله سبحانه وتعالى عندما يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[5] إنما يأمر الخلق بأن لا يتبعوا ما لم يعلموه علم اليقين وما لم يتثبتوا من صحته، سواء كان ذلك قولاً يقال، أو رواية تُروى، أو ظاهرة تفسر، أو واقعة تعلل، أو حكماً شرعياً، أو قضية اعتقادية.

والرسول ﷺ عندما يحذر من الظن ويقول: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب**

---

(1) سيد قطب: **خصائص التصور الإسلامي**، ص: 109.
(2) سيد قطب: **في ظلال القرآن**، 15/ 34.
(3) سورة: الإسراء، الآية: 36.
(4) سيد قطب: **في ظلال القرآن**، 15/ 34.
(5) سورة: الإسراء، الآية: 36.

الحديث»[1]. وفي مقام آخر يقول «**من أفرى الفرى أن يري الرجل عينه ما لم تر»**[2]. والرسول بذلك إنما يقرّ مبدأ تلازم العلم والعمل من خلال ترابطهما في إطار السعي من أجل ترقية الحياة على الأرض وفق منهج الله تعالى.

فالعمل في الإسلام لا بد وأن يكون تبعاً للعلم بنفس القدر الذي يكون فيه العلم مفتاحاً للعمل والتغير، لأن العلم النافع هو أداة التغيير الإيجابي على مستوى الفرد والجماعة. وهو ما عبّر عنه الإمام أبو حنيفة عندما قال: «أعلم أن العمل تبع للعلم كما أن الأعضاء تبع للبصر، فالعلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثير»[3].

ويعتبر الغزالي أن العمل ميزان في القرب من الله تعالى لذلك فهو يوصي تلميذه قائلاً: «العلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون، واعلم أن عملاً يبعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة لن يبعدك غداً عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تدارك الأيام الماضية تقول غداً يوم القيامة: ﴿فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾[4]. فيقال: يا أحمق أنت من هناك تجيء»[5].

فحتى يرقى الإنسان إلى المستوى الذي يمكّنه من تحقيق وظيفته كخليفة الله على الأرض، تبرز قيمة العلم كأساس لتحقيق العبادة بمعناها الشامل الذي لا يقتصر على الصلة بين العبد وربه، وإنما يتضمن معاني أوسع نطاقاً تمتد إلى مختلف جوانب الحياة، الأمر الذي يجعل من التعليم المستمر للكبار ضرورة حتمية لا غنى عنها لإنفاذ مشيئة الله في تمكين الناس من الأرض وتوجيه هذا التمكين إلى العمارة؛ لأنه يعسر على الإنسان أن يرقى لهذا المستوى وأن يحقق هذا المعنى للعبادة دون تعلم. وإذا كان الله ﷻ قد منّ على الإنسان، وأودعه من القدرات والمواهب والملكات ما يمكنه من أن يستغل كل ما أودع في هذه الأرض من كنوز

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، 4/ 356.
(2) البخاري: **صحيح البخاري**، 9/ 78.
(3) أبو حنيفة: **العالم والمتعلم**، ص: 9.
(4) سورة: السجدة، الآية: 12.
(5) الغزالي: **أيها الولد**، ص: 108 ـ 109.

obeikandi.com

وخيرات وموارد، فإن هذا الاستغلال لا يمكن أن يأتي على الوجه الأحسن بطريقة عفوية أو آلية لأنّ مثل هذه القدرات والمواهب والملكات تحتاج ـ بلا شك ـ إلى تعليم، وتدريب، وتأهيل، وتهذيب، وصقل وتنمية، وتنشئة ورعاية دائمة حتى تتمكن من القيام بدورها في عمارة الأرض وتنمية الحياة عليها.

تعليم الكبار فريضة إسلامية

حتى يكون الإنسان أهلاً للتكليف الذي خلق من أجله والتفضيل الذي فضل به على سائر المخلوقات، لا بد وأن يملك أدوات السيطرة على البيئة المحيطة، حتى يتمكن من تسخيرها وفق سنن الكون، وبما ينسجم مع مشيئة الله تعالى في عمارة الأرض التي استخلفه فيها.

ولن يتأتى للمكلف ذلك ـ حسب الإسلام ـ إلاّ عن طريق التعلم. فالعقيدة الإسلامية لا تتنافى مع العقل ـ ويجب أن لا تتنافى معه ـ حيث إنها تبقى ناقصة ما لم تنسجم معه لأن الدين الإسلامي دين عقلي «والقرآن لا يفسح المجال للبحث فحسب بل يشبع كذلك الغريزة العقلية في الإنسان ويحميلها بل يدفعها ويلزمها أن تقوم بوظيفتها بما يضربه لها من أمثال وما يذكره من آيات»[1].

فليس غريباً إذن على الإسلام أن ينوّه بالعقل ويهتم به ويعول عليه «في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف. ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة، أو مضمونة إلى العقل، أو إلى التمييز، ولكنها تأتي عرضاً غير مقصودة، وقد يلمح فيها القارىء بعض الأحايين شيئاً من الزراية بالعقل أو التحذير منه، لأنّه مذلّة العقائد وباب من أبواب الدعوى والإنكار. ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلّا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنّهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه. ولا يتأتى تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون

( ) محمود حب الله: **«موقف الإسلام من المعرفة والتقدم الفكري»، في الثقافة الإسلامية المعاصرة،** ص: 30 ـ 31.

obeikandl.com

من أصحاب العلوم الحديثة، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها»[1].

ومثلما أن الجسم لا يمكن أن يعيش بدون غذاء فكذلك العقل لا يمكن أن يعيش بدون غذاء أيضاً. وإذا كان غذاء الجسم الكلأ والماء فإن غذاء العقل العلم. وهكذا فكلما ازداد الإنسان علماً ازداد شرفاً وفضلاً. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝١١﴾[2]. كما وأن «**من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة**»[3].

وينظر الإسلام إلى «العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم كل ما يتصل بالحياة، ولا يقتصر على علم الشريعة أو العلم الديني كما يتبادر إلى بعض الأذهان، أو ما ذاع في عهود التخلف عن القرآن»[4] وتبعاً لهذا فإن العلم في الإسلام من حيث وجوبه وفرضه ينقسم إلى نوعين الأول فرض عين، والثاني فرض كفاية.

أما فرض العين فهو «ما يطلب تعلمه وجوباً من كل فرد مكلف ولا يعذر أحد في الجهل به، وهو ما يحتاج إليه الإنسان في إقامة دينه وقبول عمله عند الله تعالى واستقامة معاملته ومعاشرته للناس»[5].

وأما فرض الكفاية فهو «كل ما يحتاج المجتمع إليه من غير نظر إلى شخص بذاته، كتعلم الصناعات التي يحتاج إليها الناس، وتعلم المهن التي لا بد للناس عنها» أي «كل ما يحتاج إليها في شؤون المجتمع من تجارة وطب واقتصاد وهندسة. . . وكذا كل ما يستجد في المستقبل من الحاجة إلى علوم أخرى. فإنها تعتبر من فروض الكفاية، بحيث يجب على الأمة أن يكون فيها من العلماء بتلك

---

(1) عباس محمود العقاد: **التفكير فريضة إسلامية**، ص: 6.
(2) سورة: المجادلة، الآية: 11.
(3) أبو داود: **سنن أبي داود**، 4/ 57.
(4) محمد شديد: **منهج القرآن في التربية**، ص: 139.
(5) مصطفى السباعي: **إشتراكية الإسلام**، ص: 103 ـ 104.

العلوم. ما يكفي لحصول الأمة على ثمار تلك العلوم. فلو كانت تحتاج في علم من العلوم إلى مائة عالم مثلاً، ولم يكن فيها إلّا خمسون عالماً تكون الأمة آثمة حتى يوجد فيها العدد اللازم من العلماء»[1].

ولطالما أن علم الدين لازم للكبير من حيث هو مسلم مكلف بإقامة الشعائر. وعلم الدنيا لازم له من حيث هو خليفة الله في الأرض، «مأمور أن يعمر الدنيا وأن ينميها ويرقيها، مأمور أن يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله فيها وينعم بطيباتها»[2]. ولطالما أن العلم لا يتحقق إلّا عن طريق التعلم والتعليم. ولما كان النبي ـ وهو قدوتنا ـ «أول من عني عناية خاصة بتعلم العرب الكتابة والقراءة»[3]. وهو القائل: بأن «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[4]. يمكن القول: إن تعليم الكبار فريضة إسلامية لا يمكن للحياة أن تستقيم دون أدائها.

أهداف التربية المستمرة وتعليم الكبار في الإسلام

ترتبط أهداف تعليم الكبار في الإسلام بأهداف التربية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن فصلها عن بعضها لأن التربية الإسلامية بمفهومها الشامل تربية مستمرة مدى الحياة. فأهداف تعليم الكبار في الإسلام تنضوي تحت أهداف هذه التربية التي تهتم بشؤون الإنسان منذ ما قبل لحظة تكوينه في بطن أمّه وحتى انتقاله إلى الملأ الأعلى. ولذلك يكتسب الحديث عن أهداف التربية الإسلامية أهمية خاصة في إلقاء الضوء على أهداف تعليم الكبار في الإسلام.

أهداف التربية الإسلامية: إنّ الأهداف التي تسعى التربية الإسلامية لتحقيقها ما هي إلّا مظهر من مظاهر القيم التي نادى بها الإسلام. فالقيم «هي التي توجه سلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه

(1) مصطفى السباعي: **اشتراكية الإسلام**، ص: 103، 104.
(2) يوسف القرضاوي: **الإيمان والحياة**، ص: 218 ـ 219.
(3) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام**، 1/ 66.
(4) الطبراني: **المعجم الكبير**، 10/ 195.

من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير. وقد تتجاوز الأهداف المباشرة للسلوك التي تحدد الغايات المثلى في الحياة»(1) وفي حال كان للقيم «ضمانها عند الله، كانت مصادر التربية وأحكامها تقع وراء الأفراد والجماعات وقد تكون وراء العقل الإنساني نفسه»(2). وبذلك فإن العقل والدين هما العاملان الأساسيان في عملية توجيه النمو في إطار التربية الإسلامية، التي تطرح أهدافاً ذات قيمة وقدسية ونزاهة، تجعلها قادرة على تفسير وتوضيح معنى الحياة. «والغرض من هذه الأهداف هو بناء أفراد يمثلون مظهراً للقيم المقبولة في المجتمع ولا تتعارض رغباتهم مع النوايا السامية للمجتمع وهم يتخلصون من الضياع عن طريق جعل الأهداف موضع اهتمام والتحرك في الطريق الذي يوصلهم إلى الهدف بلا خسائر»(3).

وتتميز الأهداف في التربية الإسلامية عن غيرها لأن الإسلام يرسم مثلاً أعلى للحياة مغايراً لما نادى به فلاسفة ومفكرو الغرب وغيرهم. ولأن الإسلام ينظر للإنسان نظرة شمولية، تتفق مع الحكمة من وجوده على هذه الأرض، فإن «أهم أهداف التربية الإسلامية هو بلوغ الكمال الإنساني لأن الإسلام نفسه يمثل بلوغ الكمال الديني فهو خاتم الأديان وأكملها وأنضجها»(4). وبلوغ الكمال الإنساني في الإسلام يعني تحقيق مقام العبودية لله تعالى. ولن يتأتى ذلك إلّا من خلال النّجاح في تربية العبد الصالح القادر على القيام بمهام الخلافة. وهو ما تسعى لتحقيقه التربية الإسلامية من خلال الوصول بالمتعلم لدرجة الرقي الإنساني أو أحسن تقويم ـ حسب القرآن الكريم ـ وذلك عندما تتمكن من أن ترقى به لتصبح علاقته بالخالق علاقة عبودية، وبالكون علاقة تسخير، وبالإنسان علاقة عدل وإحسان، وبالحياة علاقة ابتلاء وبالآخرة علاقة مسؤولية وجزاء(5).

وتسعى التربية الإسلامية لأن تكون علاقة الإنسان مع نفسه علاقة معرفة،

---

(1) عبد اللطيف محمد خليفة: **إرتقاء القيم**، ص: 16.
(2) فيليب فنكس: **فلسفة التربية**، ص: 825.
(3) علي القائمي: **أسس التربية**، ص: 146.
(4) محمد منير مرسي: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، ص: 52.
(5) انظر ماجد عرسان الكيلاني: **فلسفة التربية الإسلامية**، ص: 57.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[1]. أي جهلها حيث لم يعرف ربّها، واستناداً لهذا يمكن القول: إن من عرف نفسه فقد عرف ربّه؛ لأن معرفة النفس تشكل الخطوة الأولى على طريق معرفة الله تعالى، إذ «ليس من شيء أقرب إليك من نفسك فإذا لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك؟»[2].

فالشخصية الإنسانية القادرة على إقامة هذه الشبكة من العلاقات المتوازنة، تعتبر الهدف الرئيس للتربية الإسلامية، هذا الهدف الذي يقوم على قاعدة من الشمول والتكامل والتوازن. وهو ما يسهم في القضاء على ظاهرة التمزق والاضطراب، التي تعاني منها المجتمعات الغربية، نتيجة الفلسفات التي تتناول الإنسان بشكل مجزء ومتقطع. وكأن هناك حدوداً بين جوانبه المختلفة مما يستدعي معالجة كل منها على انفراد، في الوقت الذي يعالج فيه الإسلام الإنسان كوحدة متكاملة.

ولذلك فإن من أبرز ما يميز أهداف التربية الإسلامية عن غيرها من الأهداف هو «وحدة الإتجاه وتكامل النظرة استمراراً من الفطرة والتقاء بالروح والعقل جميعاً»[3].

كل هذا يدعو إلى القول إن أهداف التربية الإسلامية لا يمكن أن تكون مجرد تحقيق للذات، أو عملية نمو أو بناء للمواطن الصالح، وإنما هي كل هذه الأهداف وغيرها مجتمعة بعد ضبطها وتهذيبها بالاتجاه الذي يساعد على بناء الشخصية على أساس من الإيمان بالله والعبودية له. ومعلوم أن «اتخاذ العبودية لله تعالى هدفاً نهائياً للتربية «يقضي على تشتت الشخصية وتمزقها ويورث الطمأنينة والراحة، كما يؤدي إلى الاستقامة في حياة الفرد والجماعة، والسمو بالإنسان إلى مستواه اللائق من حيث هو مخلوق مكرم»[4]. والتربية التي تسعى إلى تحقيق هذا الهدف النهائي «تقتضي فروعاً من التربية تتناول قيمة الإنسان وملكاته جميعاً»[5].

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 130.

(2) الغزالي: **كيمياء السعادة، في مجموعة رسائل الإمام الغزالي**، 5/ 124.

(3) أنور الجندي: **التربية وبناء الأجيال**، ص: 164.

(4) عبد الرحمٰن الباني: **مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام**، ص: 70.

(5) عبد الرحمٰن الباني: م. ن، ص. ن.

ومعلوم أن اختلاف الأهداف بين مجتمع وآخر مرده لاختلاف العقائد والفلسفات الذي يؤدي بدوره إلى اختلاف المفاهيم التربوية، التي إما أن تكون اجتماعية أو مثالية أو مادية... إلخ. وقد تختلف التربية الإسلامية في أهدافها عن غيرها من التربويات أو تتفق مع الكثير منها «ولكنها تتميز عن أنواع التربية الأخرى بأن أهدافها ثابتة لا تتغير بتغير المجتمعات أو الأزمنة أو الأمكنة. والسبب في ذلك بسيط هي أنها أهداف إلٰهية حددها الله سبحانه وتعالى لسعادة البشرية ما داموا على الأرض، فالتغير والتبدل قد يسري على الوسائل والطرق وليس على الأهداف»[1].

أهداف تعليم الكبار في ضوء أهداف التربية الإسلامية

صحيح أن أهداف تعليم الكبار قد تتعدد، غير أن ما هو صحيح أيضاً أن هذه الأهداف تتظافر وتتكامل لتخدم الهدف الرئيس لتعليم الكبار، والذي يتمثل في التربية الإسلامية بتحقيق العبودية لله تعالى والقيام بحق الخلافة. ويمكن في هذا الإطار الإشارة إلى ثلاث مجموعات من أهداف تعليم الكبار يمكن تصنيفها على النحو التالي[2]:

1 ـ أهداف حضارية تؤكد على فلسفة الأمة وعقيدتها ولغتها وهويتها. كما تؤكد على الطابع العام المميز لكل أمة من الأمم أو شعب من الشعوب.

2 ـ أهداف وظيفية تؤكد على الحقائق، والمعلومات، والخبرات، والمهارات، المتصلة بالنواحي الوظيفية في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة والتعليم... إلى ما هنالك من خبرات إنسانية في أي مجال من مجالات العمل.

3 ـ أهداف هجائية تتصل بتعليم المهارات الأساسية اللغوية كالقراءة والكتابة والاستماع والكلام وغيرها من المهارات.

---

(1) عباس محجوب: **أصول الفكر التربوي في الإسلام**، ص: 156.
(2) علي أحمد مدكور: **منهج تعليم الكبار النظرية والتطبيق**، ص: 182.

obeikandi.com

فتعليم الكبار في الإسلام يشكل جزءاً لا يتجزأ من التربية الإسلامية ووجهاً من وجوهها، ووسيلة من وسائلها في تكييف الإنسان مع الواقع المراد، والبيئة المحيطة. فليس غريباً إذن على الإسلام أن يهتم بتعليم الكبار باعتباره حلقة من حلقات التربية المستمرة في الإسلام، ووسيلة من وسائلها في تحقيق أهدافها وحمل محتواها. وحتى يتمكن الكبير من الإسهام بفعالية وإيجابية ـ وفق قدراته واستعداداته ـ في عمارة الأرض، ولكي يكون قادراً على القيام بهذه المهمة لا بد من أن يتحقق فيه ـ هو بذاته ـ مجموعة من الأهداف على المستويين الفردي والإجتماعي:

أ ـ الأهداف على المستوى الفردي:

لقد أدرك علماء المسلمين أهمية تعلّم الكبار، وأثر ذلك في بناء الشخصية الإنسانية. يقول الغزالي: «ونحن نبتغي من العلم تبليغ النفس كمالها»[1]. وفي هذا تعبير عن توجه علماء المسلمين لبناء الشخصية المتكاملة ـ مما يعني أن التربية الإسلامية استهدفت الشخصية الإنسانية من كافة جوانبها بشكل مترابط ومنسق:

1 ـ الجانب الجسمي

وما يجب أن يلفت إليه في هذا المقام هو أنّه «حيث نتحدث عن الجسم في مجال التربية فليس المقصود هو عضلاته وحواسه ووشائجه فحسب. وإنما نقصد كذلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم، والمتمثلة في مشاعر النفس. طاقة الدوافع الفطرية والانفعالات... طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاق»[2].

ويشكل الجسد «الأداة التي عن طريقها تترجم الذات الإنسانية الأعمال. وتتبدى أهمية ذلك جيداً، إذا عرفنا أن النشاط الإنساني في عمومه عبادة ما دامت لوجه الله تعالى»[3]. لذا فإن القرآن الكريم يوصي بالاهتمام بالجسم والعناية به. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[4]، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ﴾[5]. وعن عبدالله بن عمر (73 هـ/696م). أن الرسول ﷺ قال له:

(1) الغزالي: **ميزان العمل**، ص: 36.
(2) محمد قطب: **منهج التربية الإسلامية**، 1/ 104.
(3) علي خليل أبو العنين: **فلسفة التربية في القرآن الكريم**، ص: 160.
(4) سورة: النساء، الآية: 29.
(5) سورة: القصص، الآية: 77.

«صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً وإنك عسى أن يطول بك عمر وإن من حسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام فإن بكل حسنة عشر أمثالها فذلك الدّهر كله»[1].

فالإسلام يدعو لحفظ الجسم حتى يقوم الكبير بواجباته، وحفظ البدن يكون «بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره، وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك»[2]. ولطالما أن الإنس والجن ما خلقوا، إلّا ليعبدوا الله فإن «الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله ﷻ . . . وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى»[3].

وفي مجال رعاية التنمية الجسمية للمتعلم يعتمد برنامج تعليم الكبار على تعاليم الإسلام. فالرسول عندما يقول: **«فإن لجسدك عليك حقاً»**[4] يؤكد على ضرورة مراعاة حقوق الجسم بحيث تعتبر الرعاية الصحية وممارسة الرياضة وتوفير الغذاء من أبرز مجالاتها الحيوية.

وفي مجال الرعاية الصحية تعتبر «النّظافة إحدى العناصر المهمة في تكوين الحياة الصحية وازدهارها، وجعلها بمأمن من التلوث بالأمراض السارية والأوبئة الفتاكة وقد تبناها الإسلام ـ بصورة إيجابية ـ ورتب عليها بعض أحكامه وواجباته، ومنح الله تعالى وسام حبه لمن يتصف بها»[5]. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[7].

وللطهارة في الإسلام أربع مراتب هي[8]:

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، 3/ 87.
(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، 3/ 7.
(3) الغزالي: م. ن، 3/ 79.
(4) البخاري: م. س، 7/ 56.
(5) باقر شريف القرشي: **النظام التربوي في الإسلام**، ص: 302.
(6) سورة: البقرة، الآية: 222.
(7) سورة: المائدة، الآية: 6.
(8) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، 1/ 151.

Obeikandl.com

1 ـ تطهير الظاهر عن الأحداث، وعن الأخباث، والفضلات.

2 ـ تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام.

3 ـ تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة.

4 ـ تطهير السر عمّا سوى الله تعالى، وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين. والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها.

ومعلوم كم للطهارة الخاصة بنظافة الظاهر من أثر على صحة البدن. وتقسم هذه الطهارة إلى ثلاثة أقسام هي «طهارة عن الخبث، وطهارة عن الحدث، وطهارة عن فضلات البدن»[1]. ولقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بهذا النوع من الطهارة من خلال التشريعات الخاصة بالغسل والوضوء والاستنجاء ونظافة الثياب والحلق وتقليم الأظافر. يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ﴾[2] إشارة إلى فرض الاغتسال عقب الاتصال الجنسي، لما لذلك من فوائد بإعادة الحيوية والنشاط بعد انتهاء عملية الجماع. وكذلك بعد أن تطهر المرأة من دم الحيض. فالغسل يعيد لها حيويتها ويخلّصها من القذارة والأوساخ التي قد تكون سبباً لكثير من الأمراض فيما لو تركت على حالها.

كما وأن للوضوء الذي يتكرر خمس مرات يومياً فوائد جمّة على صعيد تنشيط أعضاء الجسم المختلفة ووقاية الجسد من الإصابة بالأمراض الجلدية، وكذلك إبعاد الجراثيم التي قد تدخل عن طريق الفم أو تلوث اليدين. فالوضوء من أهم الأنشطة الوقائية لجسم الإنسان حيث إنّه يحول دون إصابته بكثير من الأمراض الخطيرة.

أما السواك بعود الأراك فهو مستحب عند كل صلاة، وعند كل وضوء. ويقول عنه الرسول ﷺ: **«السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»**[3]. ولقد ثبت في هذه الأيام ما لهذا النبات من فائدة لما يحتويه من مواد عطرية وأملاح معدنية. إضافة إلى ذلك فإن نظافة الأسنان تجنب الإنسان أمراض التسوس، وغيرها من الأمراض

---

(1) الغزالي: م. ن، 1/ 153.

(2) سورة: المائدة، الآية: 6.

(3) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، 1/ 106.

النّاجمة عن بقايا الطعام بين الأسنان. قال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»[1].

وفي الاستنجاء الذي شرعه الإسلام لنظافة مخرج البدن أو الغائط غسلاً بالماء، أو مسحاً بما يقلع النجاسة بالغ الأثر في نظافة الجسم والوقاية من الأوساخ، والجراثيم التي يحملها كل من البول والغائط.

ولا يخفى ما لطهارة الثوب ـ التي تعتبر شرطاً من شروط صحة الصلاة ـ من فوائد جمّة على الصحة إضافة إلى أنّها توفر الوقاية من بعض الأمراض.

ويوصي منهج تعليم الكبار في الإسلام بالتربية الرياضية لما لها من آثار إيجابية على صعيد التنمية الجسدية. ومن أنواع الرياضة التي شرعها الإسلام السّبَق والرماية والصيد. وفي كل ذلك تنشيط للعضلات وتقوية للجسم وتنمية للإرادة والاعتماد على النفس.

وتستلزم هذه التربية الجسدية القائمة على القوة، والإعداد لمواجهة مصاعب الحياة «أن ينشأ الشباب على الرجولة والخشونة، لا على الميوعة والدعة»[2]. فلقد كان الصحابة رضوان الله عليهم بعد الانتهاء من صلاة المغرب يمارسون ألواناً مختلفة من الرياضة. قال رافع بن خديج (74 هـ/ 693م): «كنّا نصلي المغرب مع النبي ﷺ فينصرف أحدنا وإنّه ليبصر مواقع نبله»[3]. ويروى عن عبد الله بن عمر أنّه قال: «إن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي لم تضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق»[4].

ويوصي منهج تعليم الكبار في الإسلام بالتغذية التي تقوم على الاعتدال في الطعام بعيداً عن الإسراف. يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[5]. فالآية الكريمة توصي بعدم

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، 2/ 31.
(2) عبد الرحمٰن النحلاوي: **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، ص: 116.
(3) البخاري: **صحيح البخاري**، 1/ 233.
(4) البخاري: **صحيح البخاري**، 1/ 182.
(5) سورة: الأعراف، الآية: 31.

obeikandl.com

الإفراط في الأكل منعاً لإلحاق الأذى بالجسم، كما وأنها تضع قاعدة صحية للمسلمين كي يتبعوها، تقوم على ضرورة الاعتدال بالأكل. ولا يخفى على أحد ما للإسراف في الأكل من مضاعفات خطيرة قد تؤدي بصاحبها إلى الهلاك.

ومعلوم أنّه ما لم يتمتع الجسم بمستوى لائق من الصحة لن يكون بمقدور صاحبه أن يقوم بواجباته تجاه ربه وبيته ومجتمعه، فالعمل ضرورة حتمية لاستمرار الحياة. وتختلف وجهة نظر الإسلام في العمل عن وجهة نظر غيره من الأديان حيث إن «العمل في النظرية الدينية المسيحية تكفير عن الخطيئة أما في الدين الإسلامي، فالعمل لا يقصد به عقاب إنما هو تعمير للدنيا. فالإنسان خليفة الله في الأرض وبالعمل تعمر الأرض، ويسعد الإنسان»[1].

وإذا كان الجسم ضعيفاً عليلاً لن يكون بمقدور الفرد المسلم أن يقوم بواجباته والتزاماته تجاه دينه ودنياه، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّه من حق الجسد على صاحبه «الاعتدال في العمل فلا إجهاد ولا بطالة»[2].

ومنهج تعليم الكبار في الإسلام يتيح الفرصة للإنسان كي يتعرف على قدراته الخاصة كما وأنّه يوجه ويذكي ويكرّس الجهود للأعمال التي تتناسب وقدرات الإنسان استجابة لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[3].

وفي مطلق الأحوال لا بد من توفر الصحة الجسمية حتى يقوم الإنسان بواجباته. ولذلك فإن منهج تعليم الكبار في الإسلام يضم في طياته تنمية الجسم وتربية الجوارح، ويوجه طاقات المكلفين من أبناء المجتمع الإسلامي نحو خير الإنسان وخير المجتمع.

2 ـ الجانب العقلي/ الفكري

يستلهم برنامج تعليم الكبار في الإسلام منهجه في مجال تنمية القدرات

(1) صلاح عبد الجواد: **اتجاهات جديدة في التربية الصناعية**، 1/ 69.
(2) محمد علم الدين: **التربية الإسلامية**، ص: 16.
(3) سورة: البقرة، الآية: 286.

العقلية للكبار من القرآن الكريم عبر الدعوة الدائمة إلى إعمال العقل في النظر إلى ملكوت الله في السمٰوات والأرض والإنسان.

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[2].

فمعرفة أسرار مخلوقات الله تعالى من: جماد ونبات وحيوان وبشر، تؤدي إلى معرفة الله تعالى. ولذا فإنّ القرآن الكريم يوجه العقل لتدبر آيات الله في الكون حيث تبدأ هذه العملية «بالتفكر وتنتهي بالعمل... العمل بمقتضى الدستور «الحق» الذي نزل به القرآن... والجهاد في سبيل إقرار هذا الدستور وتسيير دفّة الحياة على نهجه وشريعته. ثم تصل إلى الغاية القصوى. تصل إلى الجزاء في الآخرة، فتصل الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، وتصل البشر بالله... وحيث يقيس الإنسان هذا اللون من التوجيه للطاقة العقلية في تدبر حكمة الله وتدبيره، بالفلسفة قديمها وحديثها والمعاظلات الذهنية المنبثقة من تضاعيفها يدرك في الحال عظم الفرق وعظمة المنهج الإلٰهي في تربية العقل البشري، ويعلم أنه سبحانه خلق كل شيء بالحق وجعله منهجاً لإقامة الحق في الحياة»[3]. تصديقاً لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[4] وقوله أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[5] إلى جانب عدد آخر «من الآيات البينات والدلالات الواضحات التي يفهمها متدبرها والمترقي في اختلاف

(1) سورة: عبس، الآيات: 24 ـ 32.
(2) سورة: آل عمران، الآيتان، 190 ـ 191.
(3) محمد قطب: **منهج التربية الإسلامية**، 1/ 83، 84.
(4) سورة: يونس، الآية: 101.
(5) سورة: الأنبياء، الآية: 30.

معانيها يعظم المعرفة بالله سبحانه التي هي سبب السعادة والفوز بما وعد به عباده»[1].

فالتفكّر الذي يستند إليه منهج تعليم الكبار في الإسلام تفكر هادف يؤدي إلى معرفة خالق الكون. ولذلك فإن التطرق لدراسة الكون أو ما يطلق عليه اسم الطبيعة يجب أن يهدف إلى استحضار عظمة الله تعالى الذي يرعى كافة شؤون هذا الكون، والنظم التي تتحكم بحركة أفلاكه وسيره ودورانه. فعقيدة التوحيد القائمة على معرفة الله تعالى والإيمان به «تنظم... حياة الإنسان النفسية، وتوحد نوازعه، وتفكيره وأهدافه وتجعل كل عواطفه، وسلوكه وعاداته، قوى متضافرة متعاونة ترمي كلها إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده والشعور بألوهيته وحاكميته ورحمته وعلمه لما في النفوس وقدرته وسائر صفاته»[2].

3 ـ الجانب النفسي

يدعو الإسلام لضبط النفس وتهذيبها بعيداً عن كبتها وقمعها لأنها طاقة يحتاج إليها الكبير. لذا فإن تعليم الكبار في الإسلام لا يستهدف قمع هذه القوة من قوى الإنسان أو محوها بالكلية لأن «الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة. فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك»[3]. «وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية، بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط»[4]، وإلاّ لما قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾[5]. ولقال: والفاقدين الغيظ[6]. فكظم الغيظ الذي دعا إليه الله تعالى رد للغضب والشهوة «إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه»[7].

---

(1) الغزالي: **الحكمة في مخلوقات الله، في مجموعة رسائل الغزالي**، 1/ 4.
(2) عبد الرحمٰن النحلاوي: **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، ص: 80.
(3) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، 3/ 62.
(4) الغزالي: المصدر نفسه، 3/ 62.
(5) سورة: آل عمران، الآية: 134.
(6) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، 3/ 62.
(7) الغزالي: المصدر نفسه، 3/ 62.

فالمطلوب إذن هو الاعتدال لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[1]. وبالنسبة لشهوة الطعام أيضاً يجب الاعتدال بعيداً عن الشره والجمود لقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[2].

فهذا هو المطلوب بالنسبة لمنهج تعليم الكبار في الإسلام لأن هذا المنهج لا يكبت رغائب النفس «فيقتل حيويتها ويبرد طاقتها ويشتت كيانها فلا تعمل ولا تنتج ولا تصلح لعمارة الأرض وترقية الحياة. وفي الوقت ذاته لا يطلق رغائبها بلا ضوابط... ووسيلته إلى ذلك... هي الضبط إنّه يعمل على تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة الأظفار»[3].

وفي جميع الأحوال يشكل بناء النّفس هدفاً رئيساً من أهداف التربية المستمرة وتعليم الكبار في الإسلام. وعلى الرغم من أن النفس هي مركز اللذات إلّا أنها حارس للحياة ومرشد للنور وسبب في بناء العلاقة مع الله. وفوق ذلك كله فإنّها أقوى القوى ذات الصلة بحقائق الإنسان. وبما أن النّفس إحدى قوى الإنسان فإن منهج تعليم الكبار في الإسلام يتعامل معها على هذا الأساس، حتى يتمكن الكبير من أن يكون عبداً صالحاً، لأن العبودية هي جوهر الإنسانية.

ب ـ الأهداف على المستوى الاجتماعي:

يهدف منهج تعليم الكبار إلى أن يعد الإنسان للحياة في المجتمع على قاعدة احترام ومراعاة حقوق الآخرين. كما ويعمل على تعزيز العلاقة والتفاهم بين مختلف الفئات دون النظر إلى اللون أو الجنس، فلقد عني منهج تعليم الكبار في المجتمع العربي الإسلامي ـ من جملة ما عني به ـ بالسلوك الإنساني وتنميته وتطويره وتغييره وفق نظرة الإسلام العقادية. ولذلك فإن أنشطة تعليم الكبار سعت لتنشئة أفراد

(1) سورة: الفرقان، الآية: 67.
(2) سورة: الأعراف، الآية: 31
(3) محمد قطب: **منهج التربية الإسلامية**، 1/119.

المجتمع الإسلامي على القيام بوظائفهم والمشاركة في كافة القضايا الاجتماعية وفق معايير الإسلام وقيمه.

ومن القيم التي سعى لتحقيقها منهج تعليم الكبار في الإسلام:

1 ـ قيمة الإخاء التي عبّر عنها الرسول الكريم في قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1].

2 ـ قيمة التعاطف والتواد لقوله ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**»[2].

3 ـ قيمة المسؤولية الاجتماعية لقوله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[3].

ولا شك في أن منهج تعليم الكبار في الإسلام الذي استوحى هذه القيم، مما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف كان يسعى من خلالها إلى تحقيق عدد من الأهداف منها:

1 ـ تمكين الكبير من أن يقيم علاقات تتسم بروح المحبة والتعاون والتفاهم.

2 ـ تعزيز ثقة المكلف بنفسه وتشجيعه على تحمل المسؤولية الفردية باعتبارها جزءاً من المسؤولية الجماعية.

3 ـ تعويد الكبير على الالتزام بآداب العادات، والمعاملات الإسلامية لما لذلك من أثر بالغ في تحقيق التربية الاجتماعية المتكاملة النّابعة من القيم التي دعا إليها الإسلام.

فالكبير في الإسلام يجب أن يتخلق بالأخلاق الكريمة أسوة بالرسول الكريم الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[4]. وهو عندما يتخلق

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، 1/ 17.
(2) البخاري: م. ن، 8/ 17.
(3) البخاري: م. ن، 2/ 33، 9/ 111.
(4) سورة: القلم، الآية: 4.

بهذه الأخلاق الحسنة يقترب من الكمال الإنساني الذي مثّله محمد ﷺ خير تمثيل. وكان عن حق ما قال فيه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1]. والرسول ﷺ عندما سئل عن حسن الخلق استشهد بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[2]، وأضاف قائلاً بأن حسن الخلق: **«هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك»**[3].

فمنهج تعليم الكبار في الإسلام سعى إلى إقامة علاقات إنسانية بين الناس تقوم على الثقة، والاحترام المتبادل، والشعور بالالتزام تجاه الجميع، ومراعاة الإنصاف في التعامل وغيرها من الاتجاهات الكثيرة التي عمل على تكريسها الرسول ﷺ قولاً وعملاً في كل ظرف وحين.

وفي جميع الأحوال يهتم منهج تعليم الكبار في الإسلام «بتربية الوجدان عن طريق توجيه المتعلم إلى حب الله وخشيته، فهذان الخيطان هما اللذان يربطان القلب البشري بالله، كما أنهما خلاصة العبادة وثمرتها. والوسيلة هي ممارسة العبادة بكل ألوانها دون قهر، ولكن بالترهيب والترغيب. وقراءة القرآن بتدبير... وقراءة أحاديث الرسول ﷺ وسير الصحابة، فهذه نماذج بشرية عالية فائقة كانت تعيش كل حياتها مع الله»[4].

ولا ريب في أنّ تحقيق هذه الأهداف في ذات الكبير يشكل مدخلاً لتحقيق مزيد من الأهداف، عن طريق استكمال تأهيله ليقوم بمسؤولية التكليف التي أنيطت به ليكون خليفة لله في الأرض، ومن هذه الأهداف[5]:

1 ـ تعميق شعور الإيمان والأخوة في الله في نفسه.

2 ـ العمل على تطبيق وسطية الأمة وشهادتها على الناس.

3 ـ القيام بواجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) سورة: الأنبياء، الآية: 107.

(2) سورة: الأعراف، الآية: 199.

(3) الزبيدي: **إتحاف السادة المتقين**، 7/ 318.

(4) علي أحمد مدكور: **منهج التربية في التصور الإسلامي**، ص: 349.

(5) علي أحمد مدكور: **منهج تعليم الكبار النظرية والتطبيق**، ص: 183 وما بعدها.

obeikandi.com

4 ـ العمل على استعادة تميز الأمة الإسلامية.

5 ـ تحقيق الذات وفق الفطرة.

6 ـ تصحيح مفاهيم الكبار.

7 ـ عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها.

8 ـ تنمية الإتجاهات نحو التربية المستمرة.

9 ـ تنمية القدرة على مواجهة المتغيرات.

10 ـ المساهمة في بناء المجتمع المتحضر الإسلامي.

يتضح مما سبق أنه يصعب الفصل بين أهداف التربية الإسلامية، وأهداف تعليم الكبار في الإسلام، وذلك لأنّ التربية الإسلامية تربية مستمرة مدى الحياة، وما تعليم الكبار إلّا وجه من وجوه التعبير عن هذه التربية التي تُعنى بالإنسان، حتى من قبل ولادته كي يكون ـ عند الراشد ـ قادراً على القيام بمهمة التكليف والاستخلاف التي ارتضاها لنفسه والتي كانت سبباً لتكريمه وتفضيله على بقية مخلوقات الله.

obeikandl.com